مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١ كور ١٥: ١-١١)

يا إخوةُ أُعرِّفكم بالإنجيلِ الذي بشَّرتُكم به وقبلتموه وأنتم قائمون فيه* وبه أيضاً تخلُصون بأيِّ كلامٍ بشَّرتُكم به إن كنتم تذكرون إلاَّ أن تكونوا قد آمنتُم باطلاً* فإنّي قد سلَّمتُ إليكم أولاً ما تسلَّمتُه أنَّ المسيحَ ماتَ من أجلِ خطايانا على ما في الكُتب* وأنَّه قُبِرَ وأنَّه قام في اليوم الثالث على ما في الكتب* وأنَّه تراءى لصفا ثمَّ للإثنَي عَشَر* ثمَّ تراءى لأكثرَ من خمسِ مئةِ أخٍ دفعةً واحدةً أكثرهم باقٍ إلى الآن وبعضُهم قد رقدوا* ثمَّ تراءى ليعقوبَ ثمَّ لجميعِ الرسل* وآخرِ الكُلِّ تراءى لي أنا أيضاً كأنَّه للسِّقط* لأنِّي أنا أصغرُ الرسل ولستُ أهلاً لأنْ أُسمَّى رسولاً لأنّي اضطهدتُ كنيسةَ الله* لكنّي بنعمةِ الله أنا ما أنا. ونعمتُه المعطاةُ لي لم تكن باطلةً بل تعبتُ أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا بل نعمةُ اللهِ التي معي* فسَواءٌ كنتُ أنا أم أولئك هكذا نكرِز وهكذا آمنتُم.

تسليم الكنيسة الشريف

«يا إخوةُ أُعرِّفكم بالإنجيلِ الذي بشَّرتُكم به وقبلتموه وأنتم قائمون فيه* وبه أيضاً تخلُصون بأيِّ كلامٍ بشَّرتُكم به إن كنتم تذكرون إلاَّ أنَّ تكونوا قد آمنتُم باطلاً* فإنّي قد سلَّمتُ إليكم أولاً ما تسلَّمتُه أنَّ المسيحَ ماتَ من أجلِ خطايانا على ما في الكُتب* وأنَّه قُبِرَ وأنَّه قام في اليوم الثالث...» (١ كور ١٥: ١-٥).

يتّخذ «تسليم الكنيسة الشريف»، الذي نسمّيه أيضاً «تقليد الكنيسة الشريف»، مرتبة المرجع والمصدر والمعيار في ما يختص بإيمان الكنيسة الأرثوذكسية. في الكتاب المقدس جملة من الآيات التي تبرز المكانة المركزية لتسليم الكنيسة الشريف في حياة المسيحيين وفي إيمان الكنيسة وبشارتها: «نوصيكم أيُّها الإخوةُ باسمِ ربِّنا يسوعَ المسيحِ أن تتجنبوا كلَّ أخٍ يسلُكُ بلا ترتيبٍ وليس حسبَ التعليمِ الذي تسلَّمَه منَّا» (٢ تسا ٣: ٦)، «وما تعلَّمتُموه وتسلَّمتُموه وسمِعتُموه ورأيتُموه فيَّ فهذا افعلوا وإلهُ السلامِ يكونُ معكم» (في ٤: ٩).

كلمة «تسليم» أو «تقليد»، الواردة في هذه الآيات، والمذكورة في مواضع كثيرة أخرى في الكتاب المقدس، هي ترجمة حرفية للكلمة اليونانية Paradosis المشتقة من الفعل Paradidomi أي أسلّم (السيف) وأقلّد (القلادة أو الوسام). الكنيسة الأرثوذكسية لا تفهمها بمعنى الإتباع السلفي الأعمى للأقدمين أي محاكاتهم ومجاراتهم في عاداتهم، بل بمعنى تناقل الأمر، أو الوديعة، أو البشارة، أو التعليم، أو الإيمان بشكل مباشر، من الشخص إلى الشخص الآخر، ومن الجماعة الكنسيّة إلى الجماعة الأخرى.

هذا الطابع الشخصي للتقليد أكد عليه آباء الكنيسة منذ مرحلة مبكرة. القديس إيريناوس أسقف ليون (من القرن الثاني) يكتب: «تسلّم الرسل القديسون تقليدهم من المخلّص، أما الكنيسة فتسلّمته من الرسل».

يمكننا اختصار الشهادات المكوِّنة لتقليد الكنيسة بالعناصر اللاهوتية التالية: الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، التحديدات العقائدية

العدد ٢٠١٢/٣٥

الأحد ٢٦ آب

تذكار الشهيدين أندريانوس ونتاليا

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الأول

الإنجيل

(متى ١٩: ١٦-٢٦)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ شابٌّ وجثا له قائلاً أيُّها المعلِّمُ الصالحُ ماذا أعملُ منَ الصلاحِ لتكونَ لي الحياةُ الأبديَّة* فقال له لماذا تدعوني صالحاً وما صالحٌ إلاَّ واحدٌ وهو الله. ولكن إنْ كنتَ تريدُ أن تدخُلَ الحياةَ فاحْفَظِ الوصايا* فقال له أيَّةَ وصايا. قال يسوعُ لا تقتُل، لا تزنِ، لا تسرقْ، لا تشهَدْ بالزور* أكرِمْ أباك وأمَّك، أحبِبْ قريبك كنفسِك* قال لهُ الشابُّ: كلُّ هذا قد حفِظتُه منذ صبائي فماذا يَنقُصُني بعدُ* قال له يسوعُ إن كنتَ تريد أن تكون كاملاً فاذْهَب وبِعْ كلَّ شيءٍ لك وأعْطِه للمساكينِ فيكون لك كنزٌ في السماءِ وتعالَ اتبعني* فلمَّا سمعَ الشابُّ هذا الكلامَ مضى حزيناً لأنَّه كان ذا مالٍ كثير* فقالَ يسوعُ لتلاميذه: الحقَّ أقولُ لكم إنَّه يعسُرُ على الغنيِّ دخولُ ملكوتُ السموات* وأيضاً أقولُ لكم إنَّ مرورَ الجَمَلِ من ثَقْبِ الإبرةِ لأسهلُ من دخولِ غنيٍّ ملكوت السموات. فلمَّا سمعَ تلاميذُهُ بُهتوا جدًّا وقالوا مَن يستطيعُ إذاً أن يخلُصَ* فنظرَ يسوعُ إليهم وقال لهم أمَّا عند الناسِ فلا يُستطاعُ هذا وأمَّا عند اللهِ فكلُّ شيءٍ مُستطاعٌ.

للمجامع المسكونية السبعة، التحديدات العقائدية للمجامع المحليّة، تعليم آباء الكنيسة، حياة الكنيسة الليتورجية، القوانين الكنسيَّة، شهادات من تاريخ الكنيسة (الأيقونات، مباني الكنائس القديمة، رفات القديسين، سِيَر القديسين...).

التقليد الشريف يضم كل ما عبّرت عنه الكنيسة الأرثوذكسية عبر العصور من عقيدة وتنظيم كنسي وعبادة وفن. هذه العناصر لا ينفصل واحدها عن الآخر، لأن الروح القدس يتكلم من خلالها جميعها. ولا بد لإيمان الكنيسة، من حيث هو كشف لمشيئة وفعل الإله المثلث الأقانيم في التاريخ، من أن يُتناقل (بمعنى transmission) عبر أشكال محدَّدة لحياة الإنسان ونشاطه وثقافته. هذا التناقل الذي لا يخلو من إبداع، عبر الأجيال، في كيفية تلقّي التقليد ونقله (trans mission)، يظهر بطلان كل تهمة للكنيسة الأرثوذكسية بالخضوع لـ«تقليدية – سلفيّة».

من المعروف أن ما يُدعى «الإصلاح البروتستانتي» في الغرب قد أدخل مشكلة إلى حياة الكنيسة هي ما اسموه «الحاجة إلى تمييز الكتاب المقدس من التقليد». أما الكنيسة الأرثوذكسية فترفض هذا الاتجاه وتؤكّد كون الكتاب المقدس جزءاً من التقليد الشريف. هي ترفض أي شكل من أشكال الفصل أو التمييز بين الكتاب والتقليد. بيد أنها تشدد على مكانة الصدارة والفرادة، في التقليد، للكتاب المقدس ودستور الإيمان وتحديدات المجامع المسكونية.

حياة الكنيسة بالروح القدس هي منطلق وأساس الإيمان بالكتاب المقدس وسائر العناصر الأخرى المشكّلة لتقليد الكنيسة. أمّا الاستهانة بأي من عناصر التسليم فتؤدي إلى الانحراف في عقائد الكنيسة وإيمانها، لأنها تؤدي إلى تجزئة حياة الكنيسة المستمرة بالروح القدس، والمعبّر عنها في الأشكال المتعدّدة الجوانب لحياة الكنيسة. إن التقليد هو ما يؤمّن الاستمرارية الحيّة لكنيسة اليوم مع كنيسة كل زمن غبر.

يقول اللاهوتي المعاصر الأب جورج فلوروفسكي: «التقليد الشريف هو شهادة الروح القدس، ووحيه الذي لا ينقطع، وبشارته المستمرة... ولكي نقبل التقليد ونفهمه، علينا أن نحيا في الكنيسة، ونعي حضور السيد الواهب البركات، وعلينا أن نحس فيها نَفَسَ الروح القدس... فالتقليد ليس مبدأً للصيانة والحفظ، بل هو أولاً مبدأُ النمو والتجدد... ليس ذاكرة نطقية فقط بل هو المستقَرُّ الدائم للروح القدس».

لذا فإن حياة التقليد لا تقوم على عناصر تراثية وفكرية بقدر ما هي انعكاس ديناميكي لعمل المسيح الخلاصي في حياة الإنسان. هي بمثابة حقيقة المسيح الحاضر في الكنيسة. لهذا تبقى حيوية التقليد، في نهاية المطاف، شركة الكنيسة الحيّة المجاهدة في التاريخ، والممتدة، بنعمة الروح القدس، إلى الملكوت السماوي الآتي.

القديس فانوريوس

ليست لدينا معلومات كافية عن القديس فانوريوس لكن التقليد يروي التالي: عندما احتلّ المسلمون جزيرة رودس، قرّر الوالي الجديد

تأمل

كلّ مَن يجاهد ليكسب أموالاً كثيرة، يُربي في داخله وحشاً يبتلع الحياة والنفس من دون أن يشعر، لأنّ حبّ المال يرميه في اهتمامات لا تُحصى وتعسّفات وخداعات ومنافسات وخطايا أخرى، تجعل منه شريراً مع نفسه وعدواً لكلّ العالم. لذا يقول الرسول: «وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبيّة ومضرّة تُغرق الناس في العطب والهلاك» (١ تيمو ٦: ٩).

لا يوجد إنسان عديم الإنسانية أكثر من محبّ المال الذي يكره الجميع، الفقراء والأغنياء معاً. الفقراء، خوفاً من أن يطلبوا إليه المساعدة، والأغنياء يحسدهم لأنه لا يملك أموالهم. لا يعرف ماذا تعني الرحمة أو المحبة أو مؤاساة البشر، وفي كلّ عمل صالح يظهر معارضاً. يترك كلّ عمل مهما كان مهماً، طالما أنه لا يدرُّ عليه ربحاً، غير مبالٍ به. على العكس، يمكنه القيام بأي شيء لكي يزيد غناه ولو قليلاً. شغفه بالمال لا ينتهي ولا يعرف الاكتفاء، وهذا الشغف يُغرقه بالكامل وبعمق أكثر في خطايا شتّى، وفي الإثم المختلف

إعادة بناء سور المدينة الذي تضرّر نهاية القرن الخامس عشر بسبب الحروب. أثناء عملهم، اكتشف المسلمون ركام كنيسة تحوي عدداً من الأيقونات المتضرّرة إلاّ واحدة عاينها أسقف الجزيرة نيلُس وقال إنها للقديس فانوريوس الذي كان مصوَّراً كجندي شاب حاملاً في يده اليمنى صليباً تعلوه شمعة مضاءة.

طلب الأسقف من والي الجزيرة ترميم الكنيسة فرفض، فأتى الأسقف بإذنٍ من القسطنطينية بإعادة بنائها.

في القرن السادس عشر كانت جزيرة كريت تابعة للبندقية وكان ممنوعاً أن تتم سيامة أسقف أو كهنة أرثوذكس عليها، ومن أصر على أن يُشَرطن كان يُنفى إلى جزيرة كيثيرا، فحدث أن سافر ثلاثة شمامسة إلى كيثيرا فألقى المسلمون القبض عليهم ليُباعوا كعبيد في جزيرة رودوس. هناك سمعوا عن عجائب القديس فانوريوس فذهبوا إلى كنيسته التي بُنيت من جديد ليطلبوا شفاعاته كي يحرّرهم ثم عاد كلٌّ منهم إلى سيده.

في تلك الليلة ظهر القديس لأسياد الثلاثة آمراً إياهم بإطلاق سراح الشمامسة ليعودوا إلى خدمتهم الكنسيّة وإلاّ سيُعاقبون. تجاهل الأسياد المسلمون إنذار القديس ظانين انه شعوذة، فكبّلوا عبيدهم وعاملوهم بطريقة بشعة، فعاد القديس وظهر لهم طالباً تحرير الثلاثة وإلاّ سيشهدون قدرة الله ولن يستعيدوا صحتهم وعافيتهم مجدّداً. فانصاعوا وكتبوا وثيقة تؤكد حريّة الشمامسة الثلاثة ووضعوها في الكنيسة أمام أيقونة القديس فانوريوس. قبل عودتهم، صلّى الثلاثة من أجل شفاء بعض المرضى الذين شُفوا بشفاعات القديس الذي حملوا نسخة عن أيقونته معهم إلى كريت.

يصلّي المؤمنون لهذا القديس الذي يعني اسمه «الكاشف» ليساعدهم على إيجاد ما يفقدونه، وعندما يجدون مفقوداتهم يخبزون خبزاً محلّى يوزعونه على الفقراء ويصلّون بحسب طلب القديس من أجل خلاص نفس والدته التي كانت بحسب التقليد خاطئة جدًّا. نعيّد له في ٢٧ آب. لتكن شفاعته معنا.

التسلُّط

بعدما خلق الله الإنسان على صورته ذكراً وأنثى، باركهم وقال: «أثمِروا واكثُروا واملأوا الأرضَ وأخضِعوها وتسلّطوا على سمكِ البحرِ وعلى طيرِ السماءِ وعلى كلِّ حيوانٍ يدِبُّ على الأرضِ» (تك ١: ٢٨). يميل كلّ إنسان في غالبيّة الأحيان إلى الشعور وإشعار الآخر بأنّه هو الأهم وأنّ كلمته هي التي يجب أن تكون مسموعة ومطاعة. نتيجة هذا التسلُّط قامت الحروب والمعارك الدمويّة التي لم تصل بالإنسان سوى إلى الفناء.

لا نعني بالحروب تلك التي تُستعمل فيها الأسلحة الثقيلة ويذهب ضحيتها أعداد كبيرة من البشر فقط، بل نعني أيضاً الحروب النفسيّة التي تنشأ داخل البيت الواحد. هذا ما نبَّه إليه الرسول بولس الذي قال: «ليس للمرأةِ تسلُّطٌ على جسدِها بل للرجل. وكذلك الرجلُ أيضاً ليس له تسلُّطٌ على جسدهِ بل للمرأةِ» (١ كو ٧: ٤)، فإذا عاملَ كلٌّ من الزوجين الآخرَ كما يعامل جسده الخاص فإنّ روح التسلّط لن تدخل بينهما أبداً بل

الأشكال، وفي البُطلان الدنيوي. لذلك لا يتعب الشيطان كثيراً مع الأغنياء، يقيّدهم بالغنى بسهولة ويقودهم إلى الهلاك من دون تعب. لذلك قال الرب ما أعسر دخول المتّكلين على الأموال إلى ملكوت الله وإنّ «مرور الجمل من ثقب إبرة لأسهل من دخول غنيّ ملكوت الله» (مر ١٠: ٢٤–٢٥).

لم يعرف أجدادنا القدماء الأموال، ولم يجروا وراء الذهب والفضة. كيف إذاً ظهر حبّ المال عند مَن أتوا بعدهم؟ لقد ظهر بسبب الغرور والشهوانية كما بسبب الخمول وعدم الإيمان بعناية الله.

محبة المال ليست شهوة طبيعية كتلك التي وضعها الله في الإنسان عندما خلقه. فمثلاً، الميل إلى الأكل والنوم في حدودٍ معينة هي طبيعية وضرورية، لأنه إن لم يستجب لها الإنسان يموت. الشهوة الجسدية طبيعية لكنها ليست ضرورية، طالما أنّ الكثيرين انتصروا عليها وينتصرون من دون أن يُصيبهم مكروه. على العكس، فإنّ شهوة المال ليست طبيعية ولا ضرورية بل هي كمالية، لذلك يتوقف خضوعنا لها على إرادتنا حتماً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

ستسود المحبّة مع الوفاق.

يطلب القديس أفرام السرياني في صلاته الشهيرة، التي نتلوها في فترة الصوم الكبير، العتق من حبّ الرئاسة قائلاً: «أيّها الربّ وسيّد حياتي أعتقني من روح البطالة والفضول وحبّ الرئاسة والكلام البطال»، ويعود ليطلب: «وأنعم عليّ بروح العفة واتّضاع الفكر والصبر والمحبة». إذا قابلنا بين العبارتين نجد أنّ علينا مواجهة حبّ الرئاسة، أي التسلّط، بالصبر، الأمر الذي نجده واضحاً في سفر الجامعة: «إن صَعِدَتْ عليكَ روحُ المُتسلِّطِ فلا تترك مكانك لأنّ الهدوءَ يُسكِّنُ خطايا عظيمة» (جا ١٠: ٤). إذاً، الصبر والهدوء يمنعان التسلّط من إتمام الخطايا تجاه الآخرين، على أن تصحبهما الصلاة، إذ من دونها لا نرمي الأفكار خارجَنا أي لا نشعر بحاجة إلى التوبة والتخلّص من خطايانا، بل نُبقيها نائمةً كبركانٍ خامدٍ لا نعرف متى يعود لينفجر.

ينسى الإنسان في غالبيّة الأوقات أنّه متساوٍ في الترابية مع سائر البشر، أي أنّه جُبِلَ مثلهم من التراب عينِه ولم يُصنع من نوعيَّةٍ أفضل من التراب أو من مادةٍ أخرى أثمن، كما ينسى أنّ نهايته ستكون في التراب نفسه مهما كان شكل مَدفنه جميلاً من الخارج، لذا علينا جميعاً أن نتذكّر هذا الأمر كلّما شعرنا بنزوَة التسلُّط، كما يجب أن نتذكّر أنه ما مِن فضل لإنسانٍ على آخر سوى بالمحبّة، أي إنّ الإنسان لا يتميّز عن سواه إلاّ بكيفيّة عيشه، أي الحياة في المسيح الذي يجب أن يلبسه كلّ إنسان يعتمد.

أحياناً ينقصنا التواضع الكافي لنحبّ الآخرين ممّن هم أدنى منّا إجتماعيًّا إن من جهة المال أو الشهادات أو المركز الاجتماعي. ففي الكثير من الأوقات يسكر الإنسان بعدد شهاداته مثلاً فيعتبر أنّه الوحيد الذي يفهم في هذا الكون ويبدأ بالتسلّط على مَن هم حوله، حتى على أهله الذين يعتبرهم «غير متعلّمين ولا يفهمون شيئاً في هذه الحياة»، ناسياً أنّهم ربّوه وأوصلوه إلى ما هو عليه.

كثيراً ما نسمع عن تسلُّط دول على غيرها، و«بسط السلطة»، و«توسيع دائرة السلطة»، ولا يسعنا أن نرى في هذه العبارات سوى الجشع الذي يأتي نتيجةً للفرح الكاذب الذي نشعر به عندما نرى أنفسنا متحكّمين بالآخرين وبقراراتهم وسائر نواحي حياتهم. هنا لا بدّ لنا من التذكير بأنّ الله خَلَقنا أحراراً على صورته، ولا يحقّ لنا أن نقدّس حريَّتنا وندنّس حريَّة الآخرين. فإذا أردنا التسلُّط على أحد، فليكن ذلك من خلال بسط سلطة المحبة التي «لا تتفاخر ولا تنتفخ» (١ كو ١٣: ٤).

في النهاية، لا نكن أسياداً بل خدّاماً، لأنّ السيّد الوحيد ربّنا يسوع المسيح لم يأتِ إلى الأرض متسلِّطاً بل خادماً، وهو الذي قال: «إنّ ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم بل ليخدُم وليبذل نفسه فديةً عن كثيرين» (متى ٢٠: ٢٨). فلنتعلّم المحبّة الحقّة من الرب يسوع، وإلى ذلك الحين لا نفتر من التّرداد مع القديس أفرام: «أعتقني من حبّ الرئاسة».

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb